في بلادنا الواسعة . هذه هي القصة التي نرويها في كتاباتنا ونشاطنا العملي . وان التحدي الكبير يعيق ولادتنا الجديدة من جهة ، ويصوغها من جهة اخرى . ففي سعينا الى التحرر عبر الصراع نحرر ذواتنا مما تراكم عليها من مظاهر القديم الذي لم يعد صالحا ، ومن « الجديد » الذي يريد التحدي الاجنبي فرضه علينا لبعث الحياة في القديم الذي لا ينفع .

لقد عثرنا على أنفسنا في حالة اغتراب . كيف حدث ذلك ؟ ومتى حدث ؟ ليس مهما هذا السؤال . الاكثر اهمية هو أن نعي هذه الحالة . لان ادراكها يحدد نقطة التقاطع بين اتجاهات واختيارات . كيف نعيد الالفة بين الجذور والاماد ؟ كيف نكون كما نريد أن نكون ؟ كيف نغتصب الحياة من الذين اغتصبونا من الحياة ؟ كيف أكون انا انت وانت انا، وصوتي صوتك ؟

كانت الارض .. كان المكان ، ولا يزال عندنا ، اكثر من علاقة امتلاك ، واكثر من وراثة لا دخل لنا بها . الارض العربية ، التربة العربية ، المكان العربي كاد يتحول — بسبب تحدي فرض الاغتراب بينه وبين انسانه — الى اختيار درامي .. والى اختبار الارادة والجدارة . صرنا نتساءل : هل نحن جديرون بهذا التراب ؟ من هنا تبدأ نطفة الوجه العربي الجديد . والهجرة التي ترونها كثيرة في الادب العربي الحديث ليست وداع الراحلين لارض كفت عن اعطائهم هويتهم وخبزهم ، انها — الهجرة — مسيرة البحث العربي عن الارض التي تختصر من أيديهم واجسادهم . انه السفر الذاتي العنيف الى اعادة صياغتها كما تحددها الارادة الحرة . لم نألف الغزو ولم نسلم بشرعيته — كما حدث لغيرنا — لاننا لا نؤرخ واقعة وقعت . اننا نواصل الصراع في الواقعة التي تتعدد أسماؤها ويتحدد جوهرها .. الاحتلال العثماني دام أربعة قرون . وقد استطاع ان يجرد العربي من مواصلة الانبعاث او اعاقة استمرار دوره في التاريخ . ولكن ارادة شعوبنا التي تعيش في الفة المكان الواسع ساهمت في كسر هذا الظلام ، لتواجه صراعا آخر مع الاستعمار البريطاني والفرنسي والايطالي ، فالصهيوني .

من نحن ؟ اننا لا نكتب في درجة الصفر . اننا مولودون في درجة الغليان . ان الانسان العربي الجديد الذي لم تكتمل ولادته ، ما زال يحاول — بجهد خلاق لا حد له — الوصول الى الولادة في قرون من المخاض الطويل . لقد عاش قرونه الاخيرة في صراع الغزو مع المحتلين الاجانب — بجيوشهم تارة ونفوذهم تارة وثقافتهم تارة — ليخرج من دائرة الاغتراب بينه وبين تاريخه .. بينه وبين مكانه .. بينه وبين العصر .

المكان العربي مليء بالرموز التي تسجل هذا الصراع في منطقتنا التي يسيل عليها لعاب الغزاة في التاريخ البعيد والقريب ، حصون وقلاع وكتابة على الحجر ، توقظ زمن الصراع المتشابه بين الامس والغد:طريق الشام التيأصبحت رمز الهداية غطت أعشابها آثار الرومان : وآثار الغزاة الجدد . ورسائل المقاتل المصري في العريش تسجل اصراره على حذف المحتل القديم ، وتواصل الان تسجيل الاصرار على طرد الغزو الجديد . والانسان المصري الذي كتب الخلود على الصخر يواصل تسجيل الارادة على الرمل والفولاذ . والمسيح المصلوب في فلسطين غير طريقته في نشر المحبة والنور الى العالم: نزجل عن صليبه ليقاوم محاولة تجديد الصلب . وما زالت غابات الزيتون الفلسطينية الشهيرة بمعاني السلام تتطابق مع مضمون الكفاح الفلسطيني من أجل السلام . وما زالت الصخرة التي أطاعت محمد واقفة بين الارض والسلام في القدس لتشرح مضمون الطموح العربي الاصيل .

لم يكرر التاريخ نفسه . ولكن تاريخ الغزو ما زال حاضرا في المكان العربي . من هنا ، اننا نكتب في درجة الغليان . اننا نواصل محاولة الحضور الى الارض ومنها كما